مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات
المصدر: الاهـــــــرام
التاريخ : ١٩٧٥/٥/٣٠

ماذا يواجه فورد وهو يتحدث الى السادات ؟

كتب احسان عبد القدوس :

خلال لقاء الرئيس السادات والرئيس فورد يبقى الفكر السياسى محتفظا بكل الاحتمالات فى كفة واحدة ، فليس بينهـا ـ حتى اليـوم ـ احتمال يرجح الاخر ، او يمكن فصله عن الاخر .. والفكر فى هذه الحالة لا يترك نفسه ينقاد الى التفاؤل او الى التشاؤم فليس هناك ايضا ما يرجح احدهما عن الاخر ، انما يبقى الفـكر باردا فى مواجهة كل غيبيات المستقبل محتفظا فى بروده بكل قواه وكل ثقته بنفسه وكل قدرته على مقاومة الاندفاع الاهوج ، وايضا مقاومة كل خدعة مما يسمونه الخدع الدبلوماسية ..

وقد اطلقت فى الايام الاخيرة كثير من الاشاعات تصور اقتراحات يحملها فورد لعرضها على السادات فى اجتمـاع سالزبورج ، بل وصلت الاشاعات الى حد ان اكدت أن هذه الاقتراحات قد سبق عرضهـا على السـادات عن طـريق الاتصالات الدبلوماسية وتم الاتفاق عليها ، ومنها ـ من هذه الاشاعات ـ اعتبار منطقـة ممرات سيناء منطقـة عازلة لا تدخلها القوات المصرية ولا الاسرائيلية ، والانسحاب من منطقة آبار البترول ، وتعديل النص على انهاء حالة الحرب ووضعه فى صيغة التعهد بعدم حل المشاكل بالقوة المسلحة ..و..و..ولم تشمل هذه الاشاعات شيئا عن الوضع فى سوريا ، ربما لانها اشاعات تطلقها اسرائيل كحقن من التخدير التى تسعى بها الى اكتسـاب الوقت ، واسرائيل ترفض الجمع بين مصر وسوريا حتى فى حقن التخـدير .. وللاسف .. فان كثيرا من العقـول المحترمة قد وقعت تحت تاثير المخدر ..

والذى اعلمه – على قدر ما استطيع أن أصل اليه من علم وانا اقف بعيدا فى الشارع السياسى – هو أن شيئا لم يعرض حتى اليوم ، ولا شىء اتفق عليه أو لم يتفق عليه، واذا كانت هناك اتصالات دبلوماسية بين مصر والولايات المتحدة تتم فعلا ، فهى أقرب الى تحديد مجال التعامل بين الدولتين منها الى اتصالات خاصة بالوضع بيننا وبين اسرائيل ..

والفكر السياسى لا يمكن ان يضيق الى حد تصور ان اجتماع السادات وفورد هو مجرد اجتماع لوضع خرائط انسحاب جديد لقوات اسرائيل ، فهذا موضوع علاوة على انه لا يدخل كأساس لحل القضية ، فهو مجرد اجراء عسكرى لا يدخل فى اختصاص الرئيسين وحدهما ..

والاقرب الى المنطق – وكما سبق ان صرح الرئيس السادات – هو ان الهدف الرئيسى لاجتماع سالزبورج هو تحديد موقف الولايات المتحدة من اسرائيل .. ليس مع او ضد اسرائيل ، ولكن ، الى أى مدى هى معها .. وكما سبق ان كتبت ، فان موقف مصر والدول العربية لم يعد يتطلب مزيدا من التحديد .. قلنا كل مانستطيع أن نصل اليه .. ولكن الذى لم يحدد بعد – ورغم كل ما سمعناه من تصريحات – هو موقف الولايات المتحدة ..

ولا شك أن الرئيس فورد يواجه صعوبات داخلية وخارجية وهو يحاول أن يتحمل مسئولية تحديد موقف الولايات المتحدة داخل منطقة الشرق الاوسط وبالتالى بالنسبة لاسرائيل ..

وربما كانت أولى هذه الصعوبات ، وفيها مايمس شخصه وتقدير حقه فى ممارسة مسئولياته ، هو أن اسرائيل ، ومن خلفها المراكز الصهيونية داخل الولايات المتحدة ، تتعامل مع فورد على أنه رئيس غير منتخب ، فقد تولى الرئاسة بعد نيكسون كنائب له ، والفرق كبير بين القدرة على الممارسة التنفيذية وحق استعمال السلطة فى المجتمع السياسى الامريكى بين الرئيس المنتخب والرئيس الذى لم ينتخب كرئيس .. وربما كان هذا الوضع هو مايسهل على اسرائيل اليوم استغلال مجلس الشيوخ الامريكى ومراكز القوى الامريكية فى فرض الضغوط من مختلف النواحى على فورد ..

وفى الوقت نفسه فان فورد قرر ترشيح نفسه فى الانتخابات القادمة ... وانتخابات الرئاسة فى الولايات المتحدة تستغرق عاما كاملا يبدأ عادة فى نوفمبر وينتهى فى نوفمبر الذى يليه ويسمى « عام الانتخابات » أو « السنة الانتخابية » .. ولا شك ان الحركة الصهيونية لها تأثير كبير ، أو تأثير مباشر على انتخابات الرئاسة الامريكية ، لا اعتمادا على تعداد اليهود الامريكان ولكن اعتمادا على رؤوس الاموال التى يسيطر عليها اليهود يستغلونها فى السيطرة على مراكز القوى ، مما يدفع كل المرشحين الى محاولة اكتساب تاييدهم ..

وكل ما وصلت اليه اسرائيل لتحقيق وجودها وصلت اليه خلال السنوات الانتخابية الامريكية :

● فى السنة الانتخابية ١٩٤٧ — ١٩٤٨

صدر قرار التقسيم وأعقبته معارك بين العرب واسرائيل ، وكانت الولايات المتحدة أول دولة اعترفت باسرائيل ..

● فى السنة الانتخابية ١٩٥٦ — ١٩٥٧

اشتركت اسرائيل فى الاعتداء الثلاثى على مصر ، وقد اتخذ ايزنهاور موقفا ضد الاعتداء أدى الى انسحاب الدول الثلاث ، وكانت اسرائيل آخر من انسحب بعد ان اشترطت وضع قوات دولية فى شرم الشيخ ، وكما سبق أن كتبت فان ايزنهاور اتخذ هذا الموقف لا كموقف ضد اسرائيل ولكن ضد اعادة بناء الامبراطورية البريطانية والفرنسية ، وهو ما أكسبه شعبية داخل امريكا أدت الى نجاحه فى انتخابات الرئاسة فى نفس العام ، ووقف اليهود الامريكان فى هذه الانتخابات موقف الخوف من شعبية ايزنهاور والتملق له ..

● وفى السنة الانتخابية ١٩٦٧ — ١٩٦٨

حدث الاعتداء الاسرائيلى واحتلت اسرائيل سيناء والجولان والضفة الغربية ..

هذا هو التاريخ ..

ولا شك ان الرئيس فورد وهو مقبل على السنة الانتخابية التى تبدأ فى نوفمبر القادم يحاول أن يرتب ويقيس قدراته السياسية الداخلية .. وهل يستطيع ان يتخذ موقفا كموقف ايزنهاور ضد الاطماع الصهيونية ، ورؤوس الاموال الصهيونية ، وسيطرة الصهيونية على مراكز القوى ، ثم يضمن نجاحه فى الانتخابات اعتمادا على تأييد الاغلبية الشعبية .. أم يقرر أن يستسلم للصهيونية ويريح نفسه ..

وربما كانت اسرائيل وهى تخطط للسنة الانتخابية الامريكية التى تبدأ فى شهر نوفمبر ، تضع فى تقديرها موقفا آخر قد يتخذه فورد ، وهو أن يغلب تقديره للمصالح الامريكية حتى على فوزه فى الانتخابات ، ويجازف بقراره، ويصر على ألا تؤيد الولايات المتحدة اسرائيل الا داخل حدودها المتفق عليها ، ولو سقط بعد ذلك وترك الرئاسة او حتى لو عدل عن ترشيح نفسه .. وربما لهذا تبذل المراكز الصهيونية كل قواها قبل موعد السنة الانتخابية للضغط على فورد ، حتى أصبح الضغط اقرب الى التهديد كما جاء فى رسالة الستة والسبعين عضوا من أعضاء مجلس الشيوخ الامريكى التى أرسلوها الى فورد قبل لقائه بالسادات ..

وقد كان مجلس الشيوخ الامريكى قوة رئيسية يحسب حسابها فى كل المحادثات والخطوات التى تمت بعد حرب ٦ أكتوبر ، ومنذ اليوم الاول الذى وصل فيه كيسنجر الى القاهرة لمفاوضة الرئيس السادات وهو يشير دائما الى الاتجاهات والمواقف داخل مجلس الشيوخ ، بل ان بعض المحادثات بين السادات وكيسنجر كانت تبدو كأنها مفاوضات بين مصر ومجلس الشيوخ الامريكى ..

وقد كان الفكر السياسى المصرى — ولا يزال — يبحث دائما عن الطريق لاقناع أعضاء المجلس الامريكى بالحق العربى واكتسابهم الى جانب هذا الحق .. ولكن وسائل اقناع اعضاء المجلس كثيرة ومتعددة خصوصا اذا كان بينهم — كما فى كثير من المجالس النيابية — افراد لا يمكن اقناعهم بالمبادىء الانسانية ، ولا بالمنطق ، ولا حتى بمستقبل المصالح الامريكية .. وانا أعرف تجربة مرت بها دولة عربية صغيرة قريبة عرفت بانتمائها الى منطقةالنفوذ الامريكى،وكانت هذهالدولة فىحاجة الى معونة امريكيةلاجتياز ازمةاقتصادية وازمة تسليح ،وظهر اتجاه فىمجلس الشيوخ الامريكى يعارض فى منح هذه المعونة لدولة يمكن أن تهدد اسرائيل ..

واستطاعت الدولة العربية الصغيرة أن تهتدى الى الطريق الاقرب والاسرع فى الحصول على هذه المعونة ،وذلك بأن اتفقت مع شركة امريكية للعلاقات العامة ، ودفعت لها مبلغا ضخما من الدولارات ، واستطاعت هذه الشركة باتصالاتها وخبرتها فى التحرك بين دهاليز مجلس الشيوخ الامريكى ، أن تمرر المعونة الامريكية للدولة العربية الصغيرة مستغلة قوة تأثير الدولار .. وشركات العلاقات العامة متعددة فى امريكا ولها نفوذها وقوتها ، وقد قال لى المسئول العربى الذى اشترك فى هذه العملية .. هذا واقع يجب ان نعترف به ..

وانا اعتذر عن ذكر اسم الدولة العربية لانى لم استأذن مصدر الخبر فى نشره ، خصوصا وهو خبر فيه حساسية سياسية ليس من حقى ان اتعرض لها ، كما انى لا اطلق حكما عاما على مجلس الشيوخ الامريكى — عيب ما يصحش ! — ولكنى فقط اريد ان اشير الى ما يمكن ان تلجأ اليه اسرائيل — من بين ما تلجأ اليه — للوصول الى تحقيق أهدافها ، واسرائيل ليست فى حاجة الى الالتجاء الى شركة من شركات العلاقاتالعامة لان المراكز الصهيونية داخل الولايات المتحدة هى اساسا مراكز علاقات عامة ..

وبجانب كل هذا فان ما يمكن ان يكون الرئيس فورد بواجهه وهو يتحدث الى الرئيس السادات هو الضغط العنيفضد تحقيق توازن القوىفى منطقة الشرق الاوسط ..

والمقصود ليس توازن القوى بين العرب واسرائيل ، ولكنه توازن القوى بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ، وقد كتبت فى الاسبوع الماضى مشيرا الى الحملة التى تشنها اسرائيل ضد مؤتمر جنيف لان نجاح هذا المؤتمر فىالوصول الى اى حل يحقق توازن القوى بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة ، وفى رسالة مجلس الشيوخ التى ارسلها الى فورد

اخيرا جاء بالنص : « ان توازن القوى ضد مصلحة اسرائيل » وجاء ايضا فى فقرة اخرى « ان اسرائيل القوية هى الحاجز الاقوى ضد تزايد التسرب السوفيتى الى المنطقة » ..

ولا شك ان تقدير مراكز القوى فى الشرق الاوسط اليوم هو تقدير فى صالح امريكا ، ولا شك أن الذى يبذل مجهودا اكبر ويسعى سعيا يكلفه اكثر لتحقيق التوازن بين القوى هو الاتحاد السوفيتى .. اى ان الاتحاد السوفيتى يريد ان يصل على الاقل الى وضع مواز لوضع الولايات المتحدة ..

ما هو وضع الولايات المتحدة ؟

انها تعتمد على ركيزتين :

- دولة منتمية انتماء كاملا الى القاعدة الامريكية وهى اسرائيل ..
- ودول صديقة تعتمد اعتمادا رئيسيا على التعامل مع الولايات المتحدة ، وهى اغلبية الدول العربية ..

وهذا هو نفس الوضع الذى يريد الاتحاد السوفيتى أن يصل اليه ، مع تغيير فى تقسيم الدول ، فهو يحاول أن يسترد موقف الصداقة مع اسرائيل ، والاتصالات بين السفير السوفيتى والسفير الاسرائيلى فى واشنطن ، وبين السفراء السوفيت وسفراء اسرائيل فى اكثر من عاصمة ، لم تعد امرا خافيا ، بالاضافة الى البعوث السوفيتية شبه الرسمية التى تصل الى اسرائيل ، مع التساهل الذى وصل الى حد غريب فى تهجير اليهود السوفيت الى اسرائيل.

ومن ناحية اخرى فان الاتحاد السوفيتى يسعى الى اكتساب صداقة تعامل اقتصادى مع كثير من الدول العربية ، ولكن يبقى الاصعب ، وهو الوصول الى مراكز عربية منتمية انتماء كاملا الى الاتحاد السوفيتى .. ونظرا لاختلاف طبيعة الوجود الاسرائيلى فى المنطقة عن الوجود العربى ، فان الاتحاد السوفيتى يجد من الصعب أن يصل فى المنطقة الى نفس مركز انتماء اسرائيل الى الولايات المتحدة .. ولكنه يحاول أن يصل الى مركز مقارب ، وأهم ما يعتمد عليه فى الوصول الى هذا المركز هو السلاح .. تصدير السلاح .. او تجارة السلاح .. او المشاركة بالتسليح ..

والتسليح بالنسبة للاتحاد السوفيتى — ولاى دولة اخرى — ليس مجرد عملية تجارية تعتبر أربح العمليات التجارية منذ وجد الانسان، **ولكنه ايضا موقف سياسى ..ومع اختلاف الموقف السياسى يختلف ايضا نوع السلاح** .. فقد يصدر الاتحاد السوفيتى نوعا معينا من السلاح كمجرد عملية تجارية .. وقد يرتفع نوع السلاح الى درجة اقوى وكمية اكبر اذا تقارب الموقف السياسى العالمى بين الدولتين .. ثم قد يصل نوع السلاح الى اعلى درجاته اذا وصل موقف الدولة المستوردة له الى درجة الانتماء الكامل او الى درجة تتيح السيطرة الكاملة للاتحاد السوفيتى — او الدولة المصدرة — على استعمال هذا السلاح ..

وهذا هو الذى يسبب الفرق فى انواع الاسلحة التى يصدرها الاتحاد السوفيتى الى مصر والى سوريا وما اتفق عليه اخيرا مع ليبيا ..

وكونوا معى فى فهم هذا التحليل العجيب فقد اكون مخطئا فيه :

سبق ان طلبت مصر بعد حرب ٦ أكتوبر وبعد ان تقرر لقاء جنيف ان يمدها الاتحاد السوفيتى بانواع جديدة من الاسلحة الاكثر تقدما والاكثر خطورة ، وكانت حجة مصر انها تريد ان تذهب الى جنيف وهى قوية ، وتتحدث فى مواجهة امريكا واسرائيل وهى قوية ، ولكن الاتحاد السوفيتى رفض ان يمد مصر بهذه الانواع من الاسلحة .. لماذا ؟ لان مصر استغنت عن الخبراء السوفيت ، والخبراء هم الذين يمثلون قوة الاتحاد السوفيتى داخل مصر ، ويضمن لهم ان يكون لهم الاشراف على استعمال هذا السلاح ، وهو مايجعل للاتحاد السوفيتى قوة داخل جنيف ايضا .. اى ان مصر لا حق لها ان تكون قوية فى مؤتمر جنيف وحدها، ولكن بقوة الاتحاد السوفيتى كمركز قائم فى المنطقة ..

ولان مصر لم تغير موقفها ولا قرارها بان تكون حرة فى استعمال السلاح الذى تشتريه بالعملة الصعبة من الاتحاد السوفيتى ، فقد كان على الاتحاد السوفيتى ان يبحث عن مركز آخر يعوضه عن مصر، ويجعله يجتمع داخل مؤتمر جنيف وهو فى قوة موازية لقوة امريكا ..

واستطاع الاتحاد السوفيتى ان يصل الى هدفه بالوصول الى ليبيا .. تسليح ضخم داخل المنطقة تحت سيطرة السوفيت ..

وهذه هى الاسباب والدوافع التى ادت الى التسليح السوفيتى لليبيا فى نفس الوقت الذى يجتمع فيه السادات وفورد ، وفى نفس الوقت الذى يجرى فيه التمهيد لمؤتمر جنيف ، وفى نفس الوقت الذى يثور فيه مجلس الشيوخ الامريكى ضد تحقيق توازن القوى فى المنطقة .

وكل هذا على قدر ما اتصور وما يعيننى عليه فكرى السياسى هو ما يمكن ان يكون الرئيس فورد يواجهه وهو يتحدث الى السادات ..

وكل ما ينتظره السادات ــ كما أعلن ــ هو تحديد موقف الولايات المتحدة من اسرائيل ..

ومهما كانت صورة هذا التحديد فان الاحتمالات كلها لا تزال وستبقى مستمرة الى ان نجتاز غابة الاحتمالات ونضع اقدامنا على ارضنا . □

احمد عبد الله